تاريخ الاستلام: 2018/03/28 تاريخ القبول: 2019/11/29

حضور اليهود في ذاكرة الشاعر الأندلسي مقاربة تحليلية في شعر شعراء عصر ملوك الطوائف

The presence of the Jews in the memory of the Andalusian poet An analytical approach to the poets of the age of sects

عبد الحفيظ خامر*

abdelhafidkhamer@gmail.com

جامعة قسنطينة 1

(الجزائر)

ملخص:

تتجلى صورة اليهودي في الشعر الأندلسي من خلال سلوكياته التي تدل على شخصيته ، لذلك تتبعنا أشعار الأندلسيين الذين عايشوا اليهود في زمن ملوك الطوائف و نقلوا إلينا كل كبيرة و صغيرة تتعلق بحياتهم ، فظهر لنا أن التآمر و الكيد و الحقد على المسلمين و السخرية من الدين الإسلامي و من كل ما هو مقدس عند المسلمين هي الصفات و السلوكيات التي ميزت الشخصية اليهودية .

الكلمات المفتاحية : اليهود - الصورة - ملوك الطوائف - ابن النغريلة - أبو إسحاق الإلبيري

.

Abstract:

The image of the Jew is reflected in the Andalusian poetry through his behavior, which indicates his personality, so we follow what emerged from these behaviors when poets lived the Jews in the time of the Reign of Ṭawā'if and transferred to us every aspect and detail related to their lives, it appeared to us that conspiracy and hatred and hatred of Muslims and The irony of Islam and the superiority of Muslims of the qualities and behaviors that characterized the Jewish personality.

key words: The Jews - Image - the Reign of Ṭawā'if - ibn al-Negrilah -Abu Ishaq al-Albiri

المؤلف المرسل: عبد الحفيظ خامر ، **الإيميل:** abdelhafidkhamer@gmail.com

. مقدمة:

عاش اليهود في الأندلس كغيرهم من فئات المجتمع ، و تمتعوا بالحقوق التي أقرها عقد الذمة و هي حقوق لم يشهدوا مثلها خلال حكم القوط للأندلس ، "حيث ازدهرت التجمعات اليهودية بحكم طبيعة السلطة الإسلامية المتسامحة معهم فكانت لهم بيعهم و رجال دينهم و محاكمهم الخاصة"[1].

و قد اهتم ملوك الطوائف باليهود فكان أن قربوا بعضهم و رفعوهم على رقاب الناس و جعلوهم رؤساء الجماعات اليهودية المنتشرة في كثير من الإمارات ، و من أبرز رؤساء الجماعة إسماعيل بن النغريلة في غرناطة ثم ابنه يوسف ، و في سرقسطة كان أبا عامر يقوتئيل بن يوسف ، و في بجانة تولى رئاسة الطائفة صموئيل ماكوهين بن جوزيه [2].

هذا المنصب يسمح بتمثيل الطائفة اليهودية أمام السلطة الإسلامية وتحصيل الجزية المفروضة عليهم[3]،ولكن البعض استغله للتقرب من الأمراء حتى عين الكثير منهم في دواوين الدولة ، و وصل بعضهم إلى منصب الوزارة مثلما حدث مع ابن النغريلة و ابنه في غرناطة[4] "فعلا شأن اليهود و تفاخروا على الناس من المسلمين و النصارى "[5].

فكيف تجلت صورة اليهودي في ذاكرة الشاعر الأندلسي ؟ و كيف صورهم في شعره ؟و ما هي الصفات التي غلبت عليهم في هذا العصر؟.

صورة اليهود في شعر شعراء عصر ملوك الطوائف ":

لم يمض غير يسير من الوقت زمن ملوك الطوائف حتى أصبح اليهود يشكلون قوة اقتصادية و سياسية تتحكم في كثير من شؤون الحياة اليومية مما أثار غضب المسلمين ، و أخذ غير واحد من الشعراء يستثير العامة على اليهود و منهم السميسير و أبو الحسين بن الجد الذي قال في سخط و غضب [6]:

تحكّمت اليهود على الفروج و تاهت بالبغال و السروج
و قامت دولة الأنذال فينا و صار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجّال هذا زمانك إن عزمت على الخروج

فالشاعر يشكو بمرارة من تسلط اليهود و تحكمهم في الدولة و دواليب السلطة ، كما بين الشاعر مظاهر البذخ و الترف التي يتمتعون بها مما حرم منه المسلمون ، و يتأسف على هذه الدولة التي يحكمها علوج و يرى أن ذلك من أكبر علامات الساعة و لذلك يدعو الدجال الى الخروج لأن هذا زمانه .

لقد حصل اليهود على وظائف هامة و سامية خلال هذا العصر ففي إمارة غرناطة كان أغلب العمال من الطائفة اليهودية فقد أشار إلى ذلك عبد الله بن بلقين بقوله " و لأن الرعايا أكثرهم بتلك البلدة من العمال كانوا يهودا"[7].

و من أجل الحفاظ على هذه المكاسب التي جنوها انصب اهتمامهم على الاستعانة ببني جلدتهم فكان الوزير يوسف بن النغريلة في غرناطة قد "استعمل اليهود من إخوانه على الأعمال "[8]، فجدوا في تحصيل الجبايات لإرضاء الأمير باديس بن حبوس حتى يبقي عليهم في مراكزهم و مناصبهم التي جعلتهم يتصرفون في الدولة كأنها دولتهم خاصة الوزير ابن النغريلة[9] .

فهذا أبو حفص العروضي مر بدانية فطولب بمكس كان يتولاه يهودي فأزعجه ذلك و استنكره فقال[10]:

يـأهل دانية لقد خـالفتم حكم الشريـعة و المروة فينا
ما لي أراكم تأمرون بضد ما أمؤتم به ترى نسخ الإله الديـنا
كنـا نطـالب اليهود بجزية و أرى اليهود بجزية طلـبـونا
ما إن سمعنا مالكا أفتى بذا لا لا و لا من بعده سحنـونـا
هـذا و لو أن الأئمة كلهم حـاشاهم بالمكس قد طلبونا

ما واجب مثلي يمكس عدله لو كـــان بعدل وزنه قـــاعـــونا
و لقد رجـــونا أن نـال بمدحكم رفدا يكون على الزمان معـــينـا
فالآن نقنع بالسـلامـــة مـــنكم لا تأخـــذوا منا و لا تعطـــونا

لوم و تقريع لأهل دانية كيف رضوا أن يكون عامل الجباية يهوديا ، فهذا الفعل مخالف للشريعة في نظر الشاعر، لأن الواجب أخذ الجزية من اليهود ،لكن ما حدث العكس ، ثم إن المكس المفروض على المسلم لم يفت به أحد من الأئمة ، "فقد كان الشاعر يرجو رفدا من مدحه حاكم دانية ، و بعد هذا الإذلال آثر السلامة و الابتعاد فلا يأخذ و لا يعطي"[11].

و قد غضب ابن حزم من هذا السلوك الذي يخالف الشريعة و أعراف المسلمين فقال " مسلطون اليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية و الضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله غرضهم فيها استدام أمرهم و نهيهم"[12].

و غير بعيد عن معاني و استنكار أبي حفص العروضي من تسلط اليهود يعبر ابن عتبة الإشبيلي عن رفضه و امتعاضه من تولية اليهود للمناصب العليا للدولة خاصة في سرقسطة حيث تولى حسداي بن يوسف الوزارة للمقتدر بن هود و يقارن حاله التي آل إليها بعد هجرته إلى مصر طلبا للرزق و الحرية يقول :[13]

أصبحت بمصر مستضاما أرقص في دولة القرود
وا ضيعة العمر في أخير مع النصارى أو اليهود
بالجد رزق الأنام فيهم لا بـذوات و لا جـدود
أود من لؤمهم رجوعا للغرب في دولة بن ابن هود

لقد فر الشاعر إلى مصر من تسلط اليهود لكنه وجد أسوأ منهم شرا فقد كان حال النصارى لا يختلف في مصر عن حال اليهود في الأندلس تسلطا و استغلالا للسلطة الممنوحة لهم حتى أنه تمنى الرجوع إلى إمارة و دولة ابن هود في سرقسطة.

و لم يكتف اليهود بالتسلط على رقاب العامة من الناس بل تعدى اهتمامهم إلى البحث عن وسيلة للظهور بمظهر الحكام الفعليين في بعض الإمارات التي استولوا على مقاليد الحكم فيها و لم تعد سلطة الحاكم المسلم إلا سلطة صورية فهاهو إسماعيل ابن النغريلة " يسهر على مصالح اليهود و يعنى عناية أبوية بالشبيبة اليهودية يتفقد رقيقي الأحوال منهم و يمدهم بما يسد حاجاتهم و كان في خدمته كتاب ينسخون المشنا و التلمود و يوزعها جوائز على التلاميذ الذين لا يملكون شراءها ، و لم تكن مكارمه و خيراته تقتصر على اتباع دينه في اسبانيا فحسب بل كانت تتعداهم إلى أمثالهم في إفريقية و صقلية و بيت المقدس و بغداد و قد أصبح اليهود في كل صقع و بلد يعتمدون على معونته و كرمه"[14].

و لقد استطاع أن يصل إلى مكانة جعلت اليهود يرون أنفسهم فوق قوانين الدولة و رعاياها ، فقد كان هذا الوزير " ملكا فوق الملك و كان هو المسيطر المتسلط على باديس لعكوفه على شرابه و انغماسه في لهوه و بطالته "[15]، و وصل به الأمر أن جاهر بعدائه للمسلمين و تطاول على دينهم و مقدساتهم فأقسم أن ينظم جميع آيات القرآن شعرا و موشحات يتغنى بها و من شعره :[16]

نقشت قي الخد سطرا من كتاب الله موزون
لن تنالـوا البـر حتى تنفقــوا ممـا تحبـون

و لكي يستمر نفوذه و سلطانه على المملكة " كان قد أحاط باديس بجواسيس و عيون من نساء و فتيان أهل ملته ، استغلهم بالمال و غمرهم بالإحسان "[17]و بسبب سطوته وإحكام قبضته على السلطة و إغراءاته مال إليه بعض ضعفاء النفوس و جبناء المسلمين يمدحونه و يتقربون منه طمعا في عطائه ، و من هؤلاء ابن خيرة القرطبي الملقب بالمنفتل فقد مدحه في أشعاره فيقول :[18]

قرن الفضائل و الفواضل فشأى الأواخـر و الأوائـل

سقـطوا برقـعـة فضلـه كالشمس في شرف المناقل
هــذا ابن يـوسف الـذي ورث الفضـائل من فواضل
شـرف الزمـــان بـمـثـله شرف الأسنـــة بالعــوامل
مـن لـم يـلـذ بـجـانبـه لم يـأمن الدهــر المخـاتل
متـقـلـد سيــف الـعـلا و المـكـرمـات له حمـائل

جعل من هذا اليهودي قطب الفضائل و حتى الزمان شرف به و ليس له مثيل في الأوائل و الأواخر و لم يقف عند هذا الحد بل زاد فقال :[19]

قصرت في وصفي له و لو أنـي سحبـان وائل
ما قل ما يرجى الكمـا ل لمـن أبـوه غير كـامل
سكـن النـدى فـي كفه سكنى الرواجب و الأنامل
و جرى الحياء بوجهـه جري الفرند على المفاصل

يرى الشاعر انه قصر في وصف ممدوحه حتى و إن كان في فصاحة سحبان وائل و أن هذا اليهودي منبع الكرم و هو أصيل فيه أصالة الرواجب و الأنامل في اليد و أن الحياء صفة لا تفارقه ابدا،و يعقب ابن بسام على هذه الأبيات بقوله :" ابعد الله المنفتل في نظم فيه و فصل و قبحه و قبح ما أمل"[20] .

و إمعانا في النفاق و التملق وطمعا في الكسب يضيف إلى مدح ابن النغريلة أصحاب النفوذ و ذوي المناصب من يهود غرناطة فيقول:[21]

بـدور و لـكـنـا أمـنـا سـرارها بحـور و لـــتـكـن لا نرى دونـــهـا بـــرا

غيــوث إذا ما الحــل شب ببلدة كهـــوف إذا جـاءت بـــنا أرضه كبرى
يخـالـون من فرط الحيـاء أذلـة و ترتــج أحشـــاء المـــلـوك لهـم ذعرا
و مـــن لـم يـك للنظـم محسنا فـــإن نـــداهم عـلـم النظـم و النثـرا
أجـامع شمل المجد و هو مشتت و مطـلق شخص الجـود و هو من الأســرى
فضلت كرام الناس شرقا و مغربا لـــمـا فضل العقيـــــان بالخطر القطــرا
و لو فرقـوا بين الضلالة و الهدى لمـــــمـــــا قبلـــــوا إلا أنـاملك العشرا
و لا تسلمـوا كفيـك كالركن زلفـة فيمنـــــاك لليـمنى و يســـراك لليسرى
و قد فزت بالدنيا و نلت بك المنى و أطمـــع أن ألقى بك الفوز في الأخـــرى
أديــن بديـن السبت جهـرا لديكم وإن كـــنـــت في قومـــي أديـن به سرا
و قد كـــان موسى خائفا مترقبا فقيـــــرا و أمنت المخـــــافة و الفقــرا

هاهو الشاعر يجعل من اليهود بدور و بحور لا شواطئ لها كالغيث في الكرم و تراهم من فرط الحياء كأنهم أذلة و لكن الخوف يتملك الملوك من هيبتهم ، ثم يخص ابن النغريلة بمدح لا يستحقه إلا الأنبياء فقد جعله خير الناس شرقا و غربا ، و جعل تقبيل أنامل هذا اليهودي و تسلم يده في مرتبة تسلم الحجر الأسود عند الطواف رأس الهدى فيمينه تحمل اليمن و يسراه فيها اليسر، و يقول أنه فاز بالدنيا و يرجو الفوز بالآخرة من اتصاله به كيف لا و هو يدين بدين اليهود جهرا أمامهم و سرا أمام قومه ،و يزيد على كل هذا التملق الكاذب أنه أفضل حالا عنده من موسى يوم خرج هاربا من فرعون يشير إلى الآيات ﴿فَأَصبَحَ فِي ٱلمَدِينَةِ خَآئِفا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱستَنصَرَهُۥ بِٱلأَمسِ يَستَصرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّ مُّبِينٞ﴾[22] ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن

خَيرٌ فَقِيرٌ﴾[23] فموسى كان خائفا مترقبا فقيرا ولكن اليهودي أمن الخوف و الفقر.

ويورد ابن بسام تعليقا على هذه الأبيات قائلا :" فقبح الله هذا مكسبا و أبعد من مذهبه مذهبا ، تعلق به سببا، فما أدري من أي شؤون هذا المدل بذنبه أعجب ألتفضيل هذا اليهودي المأفون على الأنبياء و المرسلين أم على خلعه إليه الدنيا و الدين ؟ حشره الله تحت لوائه و لا أدخله الجنة إلا بفضل اعتنائه"[24] و في القصيدة نفسها يقول :

و من يكن موسى منهم ثم صنوه فقل فيه ما شئت لن تبلغ العشرا

فكم لهم في الأرض من أية ترى و كم لهم في الناس من نعمة تترى

صور اليهود على أنهم أصحاب عز و سلطان و جاه و مكارم و فضائل فمهما قلنا و وصفنا فلن نبلغ عشر ما عندهم فآياتهم في الناس تتوالى الواحدة بعد الأخرى "و له في هذه القصيدة من الغلو ما نبرأ منه إلى ذي القوة و الحول"[25].

و من منافقي اليهودي اسماعيل أيضا ابن الفراء الأخفش بن ميمون الذي يعبر عن مدى تعلقه بابن النغريلة فيقول :[26]

أهوى الذي تيمني حبه و ما درى أني أهواه

أكاد أفنى من غرام به لا سيما ساعة ألقاه

و الله و ما تذكرني ساعة و لا و حق الله أنساه

و يظهر على الأبيات تكلف الحب و الغرام الزائف، إذ كيف يعقل أن يميل مسلم إلى يهودي حبا و شغفا، فهذا لا يسلم به أحد إلا إذا كان طامعا في مال أو جاه أو قضاء حاجة و إلا فلماذا التذلل ليهودي.

و بعد موت إسماعيل بن النغريلة خلفه ابنه يوسف و كان أبوه قد أعده لهذا المنصب منذ زمن حيث " حمله على مطالعة الكتب و جمع إليه المعلمين و الأدباء من كل ناحية يعلمونه و يدارسونه ، و أعلمه بصناعة الكتب و رشحه لأول حركته لكتابة ابن مخدومه بلقين ، برتبة المترشح لمكانه ، تمهيدا لقواعد خدمته فلما هلك إسماعيل أدناه باديس إليه و أظهر الاغتباط به الاستعانة بخدمته عن أبيه "[27].

و ذهب الكثير من الناس إلى أنه لم يكن في مثل لين أبيه و لا ذكائه فقد كان متغطرسا متكبرا قلد الملوك في ملبسهم و مركبهم و مسكنهم ، فكان " يظهر بمظهر أميره باديس ممتطيا جواده إلى جانبه و ركابه إزاء ركابه و شارته في اللبس كشارته حتى أن الناظر إليهما لا يفرق بين الأمير و وزيره"[28] و عمل على الظهور بصورة المتحكم في الإمارة " فأحاط نفسه بحاشية كبيرة من اليهود الذين سلمهم أرفع مناصب الدولة و كانوا يتصرفون فوق القانون "[29] .

ثورة غرناطة على اليهود :

غطرسة الوزير اليهودي و تكبره جلبا عليه نقمة الكثير من الناس خاصة العلماء و الفقهاء حتى طالبوا بتنحيته و ذلك بفضح أحواله و بيان حقيقة أمره ، و يأتي على رأس هؤلاء الفقيه الزاهد أبو إسحاق الألبيري الذي أماط اللثام على خبث اليهود و فضح نواياهم و قبح سرائرهم في قصيدة كان لها تأثير كبير في الإطاحة بهم، و قد افتتحها بتنبيه قبيلة صنهاجة عن خطأ أميرهم و سيدهم باديس بن حبوس فقال :[30]

ألا قل لصنهاجة أجمعين بدور الزمان و أسد العرين

مقالة ذي مقّة مشفق يعدّ النّصيحة زلفى و دين

لقد زلّ سيدكم زلّة تقرّ بها أعين الشامتين

ماهي هذه الزلة التي يشتكي منها الفقيه الزاهد و تقر بها عيون الشامتين

تخيّر كاتبه كافرا و لو شاء كان من المؤمنين

فعزّ اليهود به و انتخوا و تاهوا و كانوا من الأرذلين

يشير أبو إسحاق إلى صفة مهمة و هي الكفر فلا يمكن في بلاد الإسلام أن يكون الحاكم على رقاب المسلمين غير مسلم فهذا لا يجوز في شريعة الإسلام و لا يرضاه المسلمون ، و قد أدت هذه الزلة إلى تعالي اليهود و تسلطهم على المسلمين حتى صاروا هم الأسياد بعدما كانوا أذلة .

و يورد صورا من تعالى اليهود في معاملة المسلمين فيقول:[31]

فكم مسلم فـاضل قـانت لأرذل قرد من المشركيـن
و رخّـم قـــردهـم داره و أجرى إليها نمير العيون
و صـارت حـوائجنا عنده و نحن على بابه قـائمـون
و يضحك منّا و من ديننا فإنّا إلى ربنـــا راجعـون

و يسترجع الفقيه الزاهد من هول ما أصاب المسلمين من تسلط اليهود عليهم فقد أذلوا الفضلاء من المؤمنين و أهانوا الدين و الشريعة فما عاد هناك حرمة و لا قداسة .

و يبين لباديس فضاعة الأمر الذي أحدثه حين جعل وزيره كافرا ، فقد نافسه في السلطان و الجاه و المال فيقول :[32]

و قد ناهضـوكم إلى ربّكم فمـا تمنعـون و لا تنكـرون
و لو قلت في مالـه أنّـه كمـالك كنت من الصـادقيـن
و إنـي احتللت بغرنـاطة فكنت أراهـم من العـابثيـن
و قد قسّمـوها و أعمالها فمنهم بكل مكـان لعـيـن
و هم يقبضـون جبايـاتها و هم يخصمون و هم يقضمون
و هم يلبسـون رفيع الكسا و انتـم لأوضـعها لابسـون
و هم أمنائكم على سرّكم و كيف يكـون خؤون أميـن

ماذا بقي لباديس من أمارات الملك فكل ما يتمتع به الأمير نافسه فيه وزيره اليهودي ،فقد قسم هو و أعوانه الإمارة فهم منتشرون في كل مكان فيها و إليهم يرجع أمر الجباية و الجزية و تحصيل الأموال من الناس، و قد كون هذا اليهودي ثروة تضاهي ثروة الأمير و يلبس أحسن الثياب هو و بني جنسه الذين يعملون تحت سلطته ، أما المسلمون أصحاب الأرض و السلطان فعليهم الذل و الصغار[33] .

بعد أن بين حقيقتهم و أظهر مكنون صدورهم "يأتي إلى التوجيه و الطلب إلى الحكم الذي يستحقه أولائك الأنذال"[34] العابثين بالدين و الشريعة و المسلمين يقول :[35]

فبـادر إلى ذبحـه قربة و ضحّ به فهو كبش سمين
و لا ترفع الضّغط عن رهطه فقد كنـزوا كل علق ثميـن
و فرّق عراهـم و خذ مـالهم فأنت أحقّ بما يجمعـون

الحكم العادل في نظر أبي إسحاق هو الموت و استئصال اليهود من المجتمع و تحريره من شرورهم التي عمت الإمارة و طغت على كل الرعية ، لكن لماذا هذا المصير أليس لهم عهد و ذمة ؟ ألا يعيشون في مجتمع تحكمه القوانين الشرعية التي تحمي أهل الذمة ؟ أليس الموت غدر بهم و التفاف على القوانين ؟ ، "هؤلاء اليهود لا يستحقون معاملة أهل الذمة لأنهم نكثوا العهود التي تربطهم بقانون المسلمين "[36]

و يأتي الجواب على كل هذه الأسئلة على لسان أبي إسحاق نفسه في قوله:[37]

و كيـف تكـون لهـم ذمـة و نحن خمول و هم ظاهـرون
و لا تحسـبنّ قتلهـم غـدرة بل الغدر فـي تركهم يعبثـون
و قد نكثـوا عهدنـا عندهـم فكـيف تـلام على النـاكثيـن

أبـاديس أنت امـــرؤ حـاذق تصيـــب بظنّك نفس اليـقـــين
فكـيف اختفـــت عنك أعيانهم و في الأرض تضرب منها القرون
و كـــيف تحب أفـراخ الزّنـا و هم بغّضوك إلى العـــالمـيـن
و كيف استأمنت الى فـــاسق و قارنته و هو بئس القـــريـــن
و قـــد أنـزل الله في وحـيـه يحذّر من صحبة الفـــاسقـيـن
فـــلا تتّـــخذ منهـم خـادمـا و ذرهم إلى لعنة اللاّعنـــيـــن
فقد ضجّت الأرض من فسقـهم و كـــــادت تميـــد بنا أجمعين

و بعد أن بيّن لباديس أفعالهم و فضح أعمالهم يختم قصيدته بنصحه أن يبعدهم و يبتعد عنهم فهو رهين بما يفعلون و أن يتقي الله في المسلمين فهم حزب الله فيقول :[38]

فلا ترض فينا بأفعالهم فأنت رهين بما يفعلون
و راقب إلهك في حزبه فحزب الله هم الغالبون

كان وقع هذه القصيدة كبيرا فقد ألهبت عواطف المسلمين قي غرناطة سخطا على اليهود فتواثبوا عليهم فقتلوا من ظفروا به منهم و نهبوا ديارهم ، و مما " سهل انتشارها بين مختلف طبقات المجتمع سهولة عباراتها و أسلوبها النثري ليستطيع فهمها العرب و البربر ، إضافة إلى ما حملته من حقائق و صدق في الشعور و أسلوب رقيق في عتاب الحكام و التنبيه على الزلة و النصح لهم فقد اعتمد ملك غرناطة على يهودي و مكن له في السلطة "[39]

و بمقتل الوزير ابن النغريلة " طويت صفحة تسلط اليهود و تحكمهم في الدولة الإسلامية بالأندلس، فقد قضت هذه الثورة على معظم رجالات اليهود و متنفذيهم في غرناطة "[40] ، لكن باديس لم يعتبر من زلته بتقديم ذمي على المسلمين في الوزارة فقام بتولية نصراني يدعى أبو الربيع مما أثار غضب الشاعر السميسير و عبر عن سخطه، و سخط مسلمي غرناطة، بنظم ثلاثة أبيات شعرية، وكتابة نسخ عدة منها، وإلقائها في طرقات وشوارع المدينة، و فر إلى المرية معتصماً بأميرها المعتصم بن صمادح، وطارت الأبيات في أقطار الأندلس ، ولما وصل خبر الأبيات إلى باديس ، أرسل وراءه جندا و فرسانا لكنه فر ولم يلحقوه[41]. والأبيات هي:[42]

كـــلّ يـــوم إلـــى ورا بـــــــدّل البـــــول بالـــخرا
فـــزمـــــان تـــهـوّدا وزمـــــــان تـــنـــــصّـــرا
و سيصبو إلى مجوس إن الشـــــيـــــــخ عـــمّـــرا

إنَّ تولية اليهود على رقاب المسلمين في بعض دويلات الطوائف ، لا يمكن أن يُعدّ تسامحاً ، بل هو في رأيي انحراف عن شريعة الإسلام التي نهت المسلمين عن موالاة اليهود والاستعانة بهم، والنصوص الشرعية التي تبين ذلك كثيرة، نذكر منها قول الله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[43] وقول الرسول ﷺ .: "لا تأمنوهم إذ خونهم الله"[44]، وقوله للأنصار الذين قالوا له يوم أحد ألا نستعين بحلفائنا من يهود: "لا حاجة لنا فيهم"[45]، وكتب أحد عمال عمر بن الخطاب . ﷺ . كتاباً إليه يقول فيه: إن المال قد كثر، وليس يحصيه إلا هم، فاكتب إلينا بما ترى ، فكتب إليهم: "لا تدخلوهم في دينكم، ولا تسلّموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلّموا الكتابة، فإنّما هي حلية الرجال"[46].

و رغم مدح ابن خيرة و ابن الفراء للوزير اليهودي إلا أن صورة اليهودي في نفوس العامة بقيت صورة سوداوية سالبة تبعث على الحقد و الكراهية و العنصرية ضد العنصر اليهودي و تنعش العصبية الإسلامية في نفوس المسلمين ذلك أن التسلط و السخرية من المقدسات الإسلامية و أفاضل المسلمين و الكيد و التآمر هي الصفات التي طبعت صورة اليهودي في نظر الرعية جميعا .

الهوامش

[1] حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،الدار السعودية للنشر و التوزيع ،جدة ، ط2،1995 ،ص 525

[2] حسين مؤنس ، فجر الأندلس ،ص 525

[3] عبد المجيد مُحَمَّد بحر ،اليهود في الأندلس ،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،1970، ص53

[4] ابن بسام ، الذخيرة ،ج1،ص480

[5] دوزي رينهارت ،ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام ، ترجمة كامل كيلاني ،دار كلمات للترجمة و النشر ،ط1،2011 ،ص80

[6] ابن بسام ، الذخيرة ، ج2،ص562

[7] عبد الله بن بلقين ، التبيان ،ص68

[8] ابن عذارى ، البيان المغرب ،ج3 ،ص365

[9] دوزي ،ملوك الطوائف ،ص81

[10] السلفي صدر الدين ، أخبار و تراجم أندلسية ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،ط1 ،1963،ص33

[11] عبد المجيد مُحَمَّد بحر ن اليهود في الأندلس ،ص115

[12] ابن حزم / رسائل ابن حزم ، ج3 ،ص173

[13] المقري ، نفح الطيب ، ج2 ، ص663

[14] دوزي ،ملوك الطوائف ، ص 28

[15] دوزي ، ملوك الطوائف ، ص 80

[16] ابن سعيد المغرب في حلي المغرب ، ج2 ، ص114

[17] دوزي ، ملوك الطوائف ، ص 81

[18] ابن بسام ، الذخيرة ، ج 2 ، ص 762

[19] المرجع نفسه ، ص763

[20] المرجع نفسه ،ص 763

[21] ابن بسام ، الذخيرة ، ص764

[22] سورة القصص ، الأية18

[23] سورة القصص ، الأية24

[24] ابن بسام ، الذخيرة ،ج 2 ،ص765

[25] المرجع نفسه ، ص765

[26] ابن سعيد ، المغرب ،ج 2 ، ص 182

[27] ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1 ،ص 239

[28] دوزي ، ملوك الطوائف ،ص 80

[29] ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ص 233

[30] ديوان أبو إسحاق الألبيري ، ص 96

[31] المرجع نفسه ، ص 96

[32] ديوان أبي إسحاق الألبيري ، ص97

[33] دوزي ، ملوك الطوائف ، ص 80

[34] العاني مُحَمَّد شهاب ، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف ، ص 128

[35] ديوان أبي إسحاق الألبيري ، ص97

[36] العاني مُحَمَّد شهاب ،الشعر السياسي في الأندلس ، ص 129

[37] ديوان أبي إسحاق الألبيري ، ص 97

[38] ديوان أبي إسحاق الألبيري ، ص 97

[39] العاني مُحَمَّد شهاب ، الشعر السياسي في الأندلس ،ص 131

[40] عبد المجيد مُحَمَّد بحر ، اليهود في الأندلس ،126

[41] ابن بلقين، التبيان، ص66.

[42] السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص83-84.

[43] سورة المائدة، آية: 51.

[44] أبو يعلى الفراء، مُحَمَّد بن الحسين، الأحكام السلطانية، ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص32.

[45] مالك بن أنس، المدونة، م2، ج3، ص40-41.

[46] ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، ق1، ص210-211.

قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق سالم مصطفى البدري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط1 ،1998
- حسين مؤنس ،فجر الأندلس ،الدار السعودية للنشر و التوزيع ،جدة ، ط 2 ،1995
- ابن حزم / رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط2 ، 2003
- ابن الخطيب لسان الدين السلماني، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق يوسف طويل و مريم قاسم طويل ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ،2003
- دوزي رينهارت ،ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام ، ترجمة كامل كيلاني ،دار كلمات للترجمة و النشر ،ط1 ،2011
- ديوان أبو إسحاق الألبيري ، تحقيق مُحَمَّد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ، 1991
- السلفي صدر الدين ، أخبار و تراجم أندلسية ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ،ط1 ،1963
- العاني مُحَمَّد شهاب ، الشعر السياسي في عصر ملوك الطوائف ، دار دجلة ، عمان ،2010

- عبد المجيد محمد بحر ،اليهود في الأندلس ،الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر،القاهرة ،1970
- عبد الله بن بلقين ،كتاب التبيان ، تحقيق أمين توفيق الطيبي ، منشورات عكاظ ،الرباط ،1995
- ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ،تحقيق ج . س .كولان و إ. ليفي بروفنسال ،دار الثقافة ،بيروت ، ط2 ، 1980
- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي صالح ،، دار العلم للملايين ،بيروت ، ط4 ،1994
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ، المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 1 ،1994
- المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، دار صادر ، طبعة جديدة ، بيروت ،1997
- أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.